# التواصل مع الآخر والنظرة إليه من خلال الرواية المغربية
## رواية شجيرة حناء وقمر لأحمد التوفيق
## نموذجا

الباحثة سلوى الهاشمي
تحت إشراف: الدكتورة ربيعة بنويس
كلية اللغات والفون والأداب
جامعة ابن طفيل القنيطرة
المغرب

## I – تعريف التواصل:

### – الدلالة اللغوية لمفهوم التواصل:

اشتركت معظم المعاجم العربية التي رجعنا إليها في تعريفها لمفهوم "التواصل" فوجدنا في "المعجم الوسيط" ما يلي: "وصل فلان – (يصل) وصلا: دعا دعوة الجاهلية بأن يقول يا آل فلان، ووصل الشيء بالشيء وصلا وصلة: ضمه به وجمعه ولأمه، ويقال وصلت المرأة شعرها بشعر غيرها، ووصل فلانا وصلا، وصلة: ضد "هجره"، يكون في عفاف الحب وعدارته.

وتواصلا: خلاف تصارما (أي تقاطعا، يقال صارم فلان فلان أي قاطعه)، وتوصَّل إليه: انتهى إليه، وبَلَغه وتلطف حتى وصل إليه، و(الوصل): المفصِل أو مجتمع العظام ...، الوصلة: الاتصال يقال بينهما وصلة، والوصلة ما اتصل بالشيء، ...، (ج) وصل"[1]، ووجدنا في "لسان العرب" لـ"ابن منظور" أن "الوصلة: الاتصال، والوصلة: ما اتصل بالشيء، ...، ويقال وصل فلان رحمه يصلها صلة وبينهما، وصلة، أي اتصال وذريعة، ...، وجاء في الحديث النبوي الشريف: "من أراد أن يطول عمره فليصل رحمه"[2].

ثم وجدنا في معجم "محيط المحيط" لـ"بطرس البستاني" ما يلي: "الوصال مصدر واصل، ...، وهذا وصل هذا أي مثله وعند القراء عدم الفصل وعند أهل المعاني خلاف الفصل، وهو عطف بعض الجمل على بعض"[3]

### – التواصل من وجهة نظر الفلاسفة:

يعتبر الفيلسوف الفرنسي الوجودي سارتر" Sartre في كتابه "[4] L'être et le néant "أن الأخرين هم الجحيم" فمجرد نظرة منهم موجهة إلينا تخلق عندنا نوعا من القلق والارتباك وتحد من تلقائيتنا وعفويتنا وحريتنا، كما يؤكد أن محاولة معرفة الآخر هي تشييء له، أي إذا حاولنا أن نعرفه فإننا نجرده من إنسانيته ونتعامل معه كأنه مجرد

شيء أو موضوع فقط وهذا لا يليق بالإنسان، هذا ما جعل سارتر يعتبر أنَّ الذات منغلقة على نفسها ومستقلة عن الآخرين.

في حين نجد الفيلسوف الوجودي "مارسل جبرييل"[5] Marcel Gabriel (1889-1973) يرى أن ما يميز الذات ليس استقلالها عن الآخرين، بل هو قدرتها على التعبير عن نفسها أمامهم، ومدى ما لديها من قدرة لمواجهة شتى الظروف، وكلما زاد شعور الذات بنفسها، زاد بالتالي شعورها بالتزامها نحو نفسها ونحو غيرها من الذوات ولهذا يقرر "مارسل" أن الشعور بالمسؤولية لا يكاد ينفصل عن الشعور بوجود الآخرين[6]، ويعطينا مثالا للتوضيح يتجلى في أنه: "عندما أكون في عربة قطار بإزاء شخص غريب لا أعرفه، فإنني أنظر إليه، وأتأمله من الخارج، وأحكم عليه عن بعد، وكان حضوره نوع من الغياب، ولكن بمجرد ما تنشأ بيني وبينه بعض الاتصالات الشخصية فاعرف مثلا أنه خارج من بلدتي، أو تتلمذ على يد أستاذ لي، أو أنه شارك في معركة ما معي، أو أنه يتفق معي في الإعجاب بمؤلف معين أو فنان ما إلخ، هنا يزول الغياب ...، فلا أصبح أتعامل معه على أنه "هو" بل على أنه "مخاطب" فأخاطبه بضمير المخاطب "أنت"، وأفكر فيه باعتباره حاضرا"[7].

ونفس الرأي نجده عند "مرلوبونتي" Merleau Ponty Jacques (1916-)، فهو أيضا يختلف مع سارتر في تشيئه للآخر، إذ يرى أننا عندما ننظر للآخر على أنه يمتلك جسما خاصا به مماثلا في تكوينه لجسمي، وأنني قد أحتاج لهذا الآخر ليساعدني في بعض الأعمال منها مثلا عندما أريد دفع حمل ثقيل كسيارة مثلا، فإنني أحتاج لقوة الآخر أن تنضاف لقوتي حتى نتمكن من دفعها، ويضيف بأن هذه المشاركة تظهر أكثر في حديثي مع الآخر، إذ يحصل نوع من الاتصال الحقيقي عن طريق نوع من المشاركة الفعلية، والحق أن "الحوار" هو بطبيعته عملية ثنائية تلتقي فيها الذات مع الآخر فتقابل افكارها في وسط مشترك، ويتألف من حديثهما وجود مشترك أو صورة من "المعية"، وحتى "الصراع" لا يحصل إلا بعد أن تكون كل ذات أدركت أفكار غيرها باعتبارها معادية، فهو إذن يفترض نوعا من المشاركة الأولية، أو الاتصال الأصلي فيما بين الأشخاص[8].

أما إذا انتقلنا إلى الفلسفة الفينومينولوجية فإننا نجد ماكس شلر" schiller Max يرى أننا ندرك الآخرين من خلال طابعهم العام الكلي"، فمثلا أعرف أن شخصا ما مسرورا أو مكتئبا من خلال "الوحدة التعبيرية العامة"، إذ أعرف من خلال ابتسامته أنه فرحان، ومن خلال بكائه نعرف أنه حزين ويعاني مشكلا معينا، وفي احمرار وجهه أنه خجلان ... إلخ[9]، في حين تعتبر الفلسفة الأنطولوجية مع كارل يسبرز ( Jaspers Karl (1883-1969)، أن الذات لا تكون ذاتا حقيقية إلا إذا انفتحت على غيرها من الذوات، وبذلك يكون يسبرز قد ركز على مفهوم "التواصل" وأعطاه أهمية كبرى، إضافة إلى مفهوم "الحرية"؛ لأنه يرى أن الحرية لا تعيش إلا في عالم من "الحريات"، وهنا يقرر "يسبرز" أنه لا سبيل أمامي لتحقيق ذاتي إلا بالتآزر مع غيري من الذوات، وليتم التواصل لابد أن يقوم على التكافؤ والمساواة لا على الضغط والقسر[10].

ولقد طبق يسبرز فكرته عن التواصل على "العلاج النفسي"، فقرر أنه لابد أن تسود الصراحة المتبادلة بين الطبيب النفساني والمريض؛ بمعنى أنه لا يمكن أن يتحقق اكتشاف المريض لذاتيته الحقيقية، إلا إذا قام بينه وبين المعالج ضرب من التواصل الوجودي، ومثل هذا التواصل يستلزم قيام علاقة ناضجة بين الطبيب والمريض: علاقة الند بالند.

وهذا ما لمسته شخصيا من خلال تدريبي في جناح الأمراض النفسية والعقلية في أحد المستشفيات بمدينة القنيطرة على يد أطباء نفسانيين وأخصائي نفساني، إذ وجدت أن العلاقة بين المريض والطبيب أو بينه وبين الأخصائي النفسي، تحتاج إلى ثقة المريض في طبيبه، ما يشعره بالارتياح والاطمئنان وهو يحكي له عن أسراره وأدق تفاصيل حياته، وأنه كلما كانت العلاقة متقاربة بينهما كلما تماثل المريض للشفاء بسرعة.

وما "التعاقد الاجتماعي" الذي وضعه "جون جاك روسو" Jean Jacques Rousseau (1712-1778)، إلا نوع من التواصل بين أفراد الجماعات والاتفاق فيما بينهم على رأي أو قانون محدد يخدم الكل ولا يخدم الفرد أو المصلحة الشخصية فقط.

**– التواصل من وجهة نظر علماء الاجتماع:**

تحقق مفهوم التواصل كنظرية علمية بداية مع الأمريكي "جورج هربرت ميد" ونظريته عن التفاعل الرمزي.

**أ – جورج هربرت ميد George Herbert Mead (1863–1931):**

لقد دافع "ميد" أبو البنيوية عن فكرة أن التواصل كتدخل الآخر نحو تكوين وبناء الأنا أو الهوية، والوعي في نظره إمكان وليس بناء قبليا، إذ أنه لا يتحقق خارج التفاعل الاجتماعي أو خارج التواصل[11].

**ب – هابرماس: Habermas**

عمل "هابرماس" على نقل التواصل إلى قلب المجتمع[12]، وتتلخص نظريته التواصلية أو نظريته عبر الذاتية، تلك التي يرجع أصلها إلى سيميائية "بيرس" Purce، في كون الحقيقة ترتبط صميميا بالإقناع والإجماع والتواصل وليست هبة التجربة[13]، وعموما، فإن قوام نظريته عن التواصل هو قبول الآخر، ومشاركته في الحوار، وخلق صلات وقنوات للتواصل.

**ج – نيكولاس لوهمان: Luhmann Nikolas :**

أما نيكولاس فهو مختلف عن "هابرماس"، حيث يرى أن التواصل هو العنصر الأخير للأنظمة الاجتماعية، وهو العملية التي تنتج عناصر هذه الأنظمة وهي ليست بعملية مزدوجة تقتصر على الإرسال والاستقبال؛ بل هي تتركب من ثلاثة عناصر: الإخبار والمعلومة والفهم، حيث يفرق بين المعلومة والإخبار، فالمعلومة في رأيه هي معالجة اختيارية

للاختلافات، وهي ليست إرسالا، فالأنا لا تمتلك المعلومة والآخر لا يتوصل بها، بل هي نتاج للعملية التواصلية، وحينما تقدم المعلومة إخبارا تصير لها قيمة داخل العملية التواصلية[14].

نتحدث عن التواصل حين تفهم الأنا وتدرك أن الآخر أخبرها بمعلومة، ويعتبر الفهم هو المكون الثالث للتواصل، وهو لا يعني أكثر من التحقق للإخبار والمعلومة، وحتى إن كان عبارة عن سوء تفاهم، فإن الفهم لا يتأثر بذلك، إذ ليس من الضروري أن يكون هناك توافق بين المعلومة والإخبار[15].

- **التواصل من وجهة نظر علم النفس:**

**أ- الحاجة إلى الآخر:**

يؤكد علماء النفس أن الإنسان كائن يحتاج إلى العديد من الحاجات منها الأكل والشرب والنوم والتزاوج ..... وبالزواج تحافظ الكائنات البشرية على نوعها، وتحول دون انقراضها، بل يستمر تواجدها على وجه البسيطة، وبمساعدة الآخرين في الحياة اليومية، فالإنسان لا يستطيع أن يحقق كل قوته اليومي بمفرده كما لا يقدر أن يتغلب على الحيوانات المفترسة بمفرده، إنه يحتاج إلى بني جنسه بالضرورة، وهذا ما أكد عليه المؤرخ المغربي "ابن خلدون" وذلك من خلال قوله: أن "قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من الغذاء... فلا بد من اجتماع القُدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف. كذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأن الله سبحانه وتعالى لما ركَّبَ الطِّباعَ في الحيواناتِ كلّها وقسَّم القُدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من قدرة حظِّ الإنسان، فقدرة الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الإنسان، ..."16، هنا يبين ابن خلدون ضعف الانسان أمام قوة الحيوان وخصوصا تلك المفترسة منها، "وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمَّت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه (البشر)"17.

**ب – المشاركة الوجدانية:**

إن الإنسان كائن اجتماعي، ووجوده داخل الجماعة قد يجعله يتصرف مثلها تلقائيا، فنجد الرجل قد يضحك وسط جماعة يضحكون لفكاهة ما دون أن يكون قد سمعها جيدا، وبعد الانتهاء من الضحك قد يسأل الشخص المجاور له عن الفكاهة لأنه لم يسمعها بوضوح، وقد يبكي مع الباكين دون أن يستطيع إمساك نفسه عن البكاء، وهكذا فإننا نجد أن حالات الهياج مثل الغضب والمرح والحزن والألم سرعان ما تنتشر بين الناس بسهولة كبيرة[18].

هذه التصرفات تمثل نوعا من أنواع المشاركة الوجدانية بين الأنا والآخر، التي من شأنها أن تساهم في تحقيق نوع من التماسك والتضامن الاجتماعي بين الأفراد، ونلاحظ هذا أكثر في حالة جماعة تعاني من الحزن، فإذا دخل عليها فرد في حالة من المرح والبهجة والسرور فإنها تميل إلى التخلص منه، إلا إذا انسجم معها في حالتها الانفعالية[19]،

والعكس صحيح، مثل ما نجده بالنسبة للجماعة إذا كانت في حالة من الفرح والمرح والسعادة، فإنها ترفض أن يميل أحد الأفراد إلى الانزواء والاكتئاب والحزن، فتحاول أن تتخلص منه، ليخلو لها الجو ويسود فيما بينها نوع من التالف والتضامن حول نفس الحالة النفسية المناسبة للظرفية.

## II – أنماط التواصل

تتوزع أنماط التواصل بين صنفين، ألا وهما صنف الحوار، وصنف الإخبار، فصنف الحوار يسير في اتجاهين من المرسل إلى المرسل إليه، ومن المرسل إليه إلى المرسل، فهناك تبادل في الأدوار، بخلاف صنف الإخبار الذي يسير في اتجاه واحد، أي من المرسل إلى المستقبل ولا يتم تبادل الأدوار فيما بينهم.

### 1– صنف الحوار:

– **تواصل بين شخصي (بين ذاتي)**: communication interpersonnelle

تقوم فيه الذات بالتحاور مع ذاتها، وهو ما نجده يسمى في الأعمال الأدبية بالحوار الداخلي (monologue) من مثل أن يكلم الفرد نفسه في حالة التفكير أو حالة التأمل أو الإنشاد ...

### ب – حوار جماعي:

**حوار ثنائي**: يتم فيه تبادل أطراف الحديث بين شخصين على الأكثر هما مرسل ومرسل إليه، ويتميز هنا المرسل إليه بإدماجه في الحديث وبتغييره لدوره من مستقبل فقط إلى مرسل أيضا، فيكون في هذه الحالة تناوب متكافئ للأدوار، متخذ شكل سؤال / جواب أو جواب / سؤال.

ويتميز هذا الصنف بكونه يولد الأفكار والإبداع، ويكسب الشخص الثقة في النفس، ومنه تضفي عليه سمة الشخصية القوية التي تعرف كيف تقنع وتجادل، ويتطلب هذا الحوار لإنجاحه تكافؤا اجتماعيا وثقافيا، فيستحيل أن يكون بين الأجير والمشغل مثلا[20].

**حوار بين الفرد والجماعة أو الجماعة والجماعة**: فإذا كان هذا النوع من الحوار يتم بين فرد وآخر، فهناك أنواع أخرى منه إلا أنها تتم إما بين فرد وجماعة، مثلا أن تكون لشخص ما فكرة فيعرضها أمام الجماعة وكل واحد منهم يناقش فيها لإقناع بعضهم البعض، وقد يكون بين جماعة وفرد أو جماعة وجماعة.

### 2– صنف الإخبار:

1– **التواصل أحادي الجانب**: يكون المرسل هنا متجليا في شخص واحد يخاطب جمهورا عريضا، مثل الإعلانات الإشهارية والملصقات[21]

**2 – التواصل الجماهيري:** يعتبر الباحث السيكولوجي الأمريكي "هارولد لاسويل (1902 - 1978) Harlod laswell الذي عنونه " propagqnda technique in the world war" تقنيات الدعاية خلال الحرب العالمية، البداية الأولى لتأسيس ما يسمى ب "التواصل الجماهيري"، ومن أسباب ظهور هذا الكتاب نجد الرغبة في أخذ العبرة من الحرب العالمية الأولى خصوصا بعدما تأكد الدور الفعال للإعلام في تأثيره على التدبير الحكومي للرأي[22].

ولقد تطور هذا المفهوم أي "التواصل الجماهيري" بتطور علم النفس، لأنه موضوع سيكولوجي بامتياز وسوسيولوجي كذلك، وذلك لأن هناك علاقات تفاعلية تتضمن التأثر والتأثير بين المجموعات التي تسمى ب "الجمهور"[23].

## III معيقات التواصل:

تتعدد المعيقات التي تعرقل العملية التواصلية بين الأنا والآخر، وحتى مع الذات نفسها interpersonnel، وذلك راجع لتعدد النشاط التواصلي أصلا، وهذه المعيقات تقف حجرة عقبة بين المرسل والمرسل إليه، فلا يحصل المراد ولا يتوصل المرسل إليه بالإرسالية، وعموما يمكننا أن نحصر معيقات التواصل في الحواجز التالية:

### 1 – معيقات لغوية:

ليتم التواصل ينبغي أن يتوفر كل من المرسل والمرسل إليه على لغة موحدة فيرسل المرسل شفرة معينة (code) ويكون المرسل إليه محللا لهذه الشفرة أو قارئا لها (décodeur)، فبدون هذه العملية أو إن اختلت سيختل التواصل، كأن نجد الشخص المثقف حينما يكون مرسلا نحو شخص أمي، ففي هذه الحالة إذا لم يتخل المرسل عن المصطلحات الدقيقة والعلمية وغيرها، أو إذا استعمل تعبيرات مجازية، عندها سوف يتعذر التواصل، لأن المرسل لم يتنازل عن مستواه الثقافي والمعرفي ولم يحوله إلى لغة بسيطة وسهلة يستطيع أن يدركها المرسل إليه العادي والأمي.

### 2 معيقات سيكولوجية:

هذه المعيقات متعددة نذكر منها: الخوف والخجل والارتباك وعدم الثقة بالنفس وعدم القدرة على المواجهة والتوتر والانفعال والاختلال النفسي والعقد النفسية الراجعة للطفولة وعدم التركيز والسهو والشرود وعدم الاستعداد لتلقي الرسالة[24].

### 3– معيقات فزيولوجية:

تذكر بعضها باختصار، فمنها الصداع والضجيج والتشويش والصوت المنخفض والسرعة في الكلام والإصابة في الجهاز السمعي.....

**4 معيقات بيولوجية:**

منها التأتأة وصعوبة القراءة (la dyslexie) وعسر النطق (la dyslalie) وصعوبة التنفس (la dyspnée)[25].

**5 معيقات سوسيوثقافية:**

يعتبر اختلاف الطبقات الاجتماعية والإحساس بالفروق الاجتماعية من أهم أسباب غياب الحوار فنجد الغني لا يعترف بالآخر الفقير، ولا يرضى بالتحدث معه، بل يكتفي بأمره هذا إذا لم ينهره.

وكذلك يندرج هنا الاختلاف في المنطلقات الفكرية والمذهبية واهتزاز المعايير المرجعية، أو ما يسمى بالوضعية الفوضوية – اللانظامية (la situation anomique)، أي تصدع منظومة القيم والمبادئ والأعراف الاجتماعية والدينية[26].

## VI التواصل بين الأنا والآخر:

### 1– النظرة إلى الآخر: le regard sur l'autre:

عندما يلتقي شخصان تكون مسبقا لكل واحد منهما فكرة ونظرة معينة عن الآخر، وذلك انطلاقا من مرجعياتهما التاريخية والثقافية، وعلاقاتهما الاجتماعية، لنعتبر أن كلا من "أ" و"ب" شخصان من نفس الجنس يبحثان عن حوار dialogue وبإمكانهما أن يكونا رجلا وامرأة، روسيا وهنديا، مسيحيا ومسلما، مؤمنا وملحدا، ...، إلى حدود قارئ ومؤلف، وإن كان هذا الأخير قد توفي ومع ذلك فهناك حوار من خلال نصه المقروء[27].

قبل الشروع في الحوار تكون لـ (أ) فكرة مسبقة عن (ب) نسميها (ب)`، ونفس الأمر من طرف (ب) على (أ)، وكما ذكرنا سابقا فتلك النظرات هي استيهامات مرتبطة بتاريخنا وثقافتنا ... وكما يقول "فيكتور هيجو" victor hugo: "نقول إنه صغير نتخيل أنفسنا أننا كبار"

« En dit qu'il est petit, on s'imagine qu'on est grand » أو كما يقول أغاس Horace: "إذا لم تستطع أن تترقى فدلل الأخر « si tu ne peux pas t'élever, rabaisse l'autre »، وهذا أكثر سهولة بطبيعة الحال، واتفاقا مع هذه النظرة السلبية للآخر، نجد جاك دريدا " Jacques derrida" الذي يقول إن غريزة القتل لن تمحى أبدا، لأنه جزء من النزعة الحيوانية في البشر مادام الحيوان البشري يتوفر على قدر كبير من القسوة.

وقد يعتبر أحيانا إيذاء الآخر مصدرا للمتعة[28]، وهذا ما يسميه علماء النفس بالسادية le sadisme وهو ذاك الذي يتلذذ بتعذيب الآخرين، فهذه العدوانية حسب دريدا يمكن أن تتحول إلى ما هو أكثر من القتل – وبطبيعة الحال للفرد أن يقتل قتلا رمزيا، وهنا يقول دريدا: "يمكنني أن أقتل الآخر، دون أن أضع حدا لحياته ويمكنني أن أكون عدوانيا بشكل لا يمكن رصده"[29].

## 2– التخييل والنظرة للآخر:

والتخييل الروائي مليء بالصور التي تحط من قيمة الآخر، وتضعه في قوالب جاهزة، حسب إيديولوجيات وخلفيات معينة، فنجد الأفراد Les individus كالثقافات – خصوصا عندما تحس بالضعف – غير قادرة على رؤية واضحة، وإيجابية ورؤوفة نحو الآخر، وهذه الدراسة نجدها تطبيقا في جل بقاع العالم وفي كل الفترات[30]، وعلى سبيل المثال، نجد التخييل غنيا جدا في إطار حديثه عن العلاقات الإسلامية المسيحية في البحر الأبيض المتوسط méditerannée، والمليئة بالنعوت القدحية والغربية، وذات القيمة الساقطة، فهذه التخييلات توظف كأجهزة دفاع أو أدرع واقية تعمل على تكسير وتغليط النظرة إلى الآخر، ومن تلك الأمثلة نذكر "رواية دون كيخوط Don Ouijote de la Mancha" لسرفانتس Cervantes ، الذي يصف فيها المسلم بالشذوذ والعداء ومظاهر التغريب والشر والخيانة والغدر[31].

ففي كتاب محمد أنقار الذي يحمل عنواناً "بناء الصورة في الرواية الاستعمارية صورة المغرب في الرواية الإسبانية" نجد العديد من الصور القدحية التي ألصقت بالمسلمين والمغاربة والعرب عامة، إذ شبهوا بالوحوش والفهود وأبناء الذئاب، والأرانب والخنازير الوحشية"[32].

ونضيف مثالا آخر في التخييل الذي يرصد النظرة الدونية للآخر، وهذه المرة سننتقل إلى نص من الثقافة الهندية ألا وهو «le voleur de Hache » "سارق الفأس" الذي تدور أحداثه حول قصة رجل ضاع منه فأسه، ولما رأى ابن جاره، بدأ يرى أن مشيته تدل على أنه هو الذي سرق الفأس، ووجهه يدل على أنه هو سارق الفأس، وكلامه كذلك وهيئته وحالته أيضا تدلان على أنه هو السارق، فجأة وجد الرجل فأسه، وبعد يومين لما رأى ابن جاره من جديد لم تتمثل له لا في مشيته ولا في سلوكه بأنه سارق الفأس[33].

إذن فالنظرة إلى الآخر في البداية تكون استيهاما فقط، أي لا نعرف الآخر على حقيقته وقد نظلمه بأحكامنا المسبقة، وسنفسر هذا الكلام بالعودة إلى الخطاطة السابقة، ف (أ) لا يرى (ب) بل يرى (ب)` و (ب) لا يرى (أ) بل يرى (أ)`.

ف (أ) سيتكلم مع (ب)` و (ب) مع (أ)`، وهنا لن يتفاهما، لأنهما ليس على نفس الخط، فيتطلب منهما الأمر أن يغيرا الكلمات والأفكار ومع ذلك لن يتلاقيا أبدا، إلا بعد عمل طويل للمطابقة والتوضيح وتطهير الاستيهامات

وتشتيتها، بعد كل هذا ستصبح النظرة إلى الآخر أكثر صدقا، ف (ب)` ستقترب من (ب) و (أ)` ستقترب من (أ)[34].

### 3- العلاقة مع الآخر المخالف:

قبل أن نتطرق للحديث عن الآخر المخالف؛ ونقصد به ذلك الآخر الذي يختلف عني جنسا، وثقافة، ولغة وفكرا ... أريد أن أشير هنا إلى أن الإنسان في علاقته مع الآخر كيفما كان سواء كان فردا أو جماعة، يحصل له نوع من التغيير، كما يمارس هو نوعا من التغيير على الأنا الذي هو الآخر وآخر بالنسبة للآخر، وذلك حسب شخصيته بطبيعة الحال التي ينبغي أن تكون قوية ليستطيع أن يتغير، لا أن يغير من طرف الآخر، فكما يقول هيجل Hegl في صدد حديثه عن الأخر. هناك نوع من التضحية للاعتراف بالآخر، فيكون المنتصر مُعْترف به ويصير "سيدًا" والذي يَعْتَرِف يصبح عبدًا.

### 4- التواصل غير اللفظي بين الأنا والآخر:

#### * التواصل عبر ملامح الوجه:

أكثر ما تركز عليه النظر عند تواصلنا مع الآخرين هو الوجه، إذ عليه ترتسم أكثر الأحاسيس دلالة، "فالتأثر الأولي هو في المقام الأول، سلوك وجهي" كما يقول طومكينس (Tomkins)[35]، إلا أن هذا التأثر الأولي يمر عبر أربعمائة (400) توليفة ممكنة.

لقد كان "داروين" Darwin من الباحثين الأوائل الذين اهتموا بالحركات والإيماءات ونقل الأحاسيس التي تترجمها، فبعد الدراسة التي قام بها على حوالي عشرين مرسلا ليحددوا له ماذا تعني لهم تعابير الوجه المختلفة وحركاته الأخرى، قام بتصنيف الأحاسيس والانفعالات الأساسية عند الإنسان.

ورغم التعديلات التي أدخلت على تصنيفه من طرف إيكمان Ekman وفريسن Friesen ومالستروم malstron، إلا أنها تظل طفيفة.

وتعتبر عبارة "ماء الوجه" عبارة بالغة الدلالة، فضياع ماء الوجه يعني ضياع أهم جزء في الجسد، إلى درجة سماه ايخمان ب "الكذاب المفضل"[36]. فتعابير الوجه هي نوع من أنواع التواصل، إذ نادرا ما نجد أناسا يتكلمون دون ظهور تعابير على وجوههم.

كما أن المتحدث غالبا ما يطلب من مستمعه أن ينظر إليه، وتلك طريقة لصرف الآخر عما يمكن أن يشغله غير حديث محدثه، غير أن التجربة اليومية تبين أنه قد نجد من يقول الصدق ويستحي خجلا أن ينظر في عيني

الذي يحدثه، بينما نجد من جهة أخرى من يكذب ومع ذلك يمعن النظر في وجه محدثه، وتبدو هذه الطريقة كأنها تعويض عن نقص ألا وهو الكذب، ليضفي على كلامه نوعا من الصدق.

والنظرات تختلف حسب العلاقات بين ذات الأنا وذات الآخر، فنظرة الملاكم لخصمه في الحلبة تعبر عن نوع من الاستفزاز، في حين هناك، نظرات تدل على التوجيه والانتباه وأخرى على التحذير أو التوبيخ...الخ.

*** الابتسامة:**

تؤدي الابتسامة نوعا من التواصل، فعن أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تبسُّمُكَ في وجه أخيك لَكَ صَدقة، وأمْرُكَ بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادُك الرَّجُل في أرض الضَّلاَلِ لَكَ صَدقة، وبصرُكَ للرَّجُل رَديءِ البصرِ لَكَ صدقة، وإفْراغُكَ من دَلْوك في دلْو أخيكَ لَكَ صَدقة"[37]، فمن خلال هذا الحديث الجامع لأنواع الصدقات والذي يعتبر أن الابتسامة هي أيضا خير وصدقة، رغم أنها مجرد ملامح ترسم على الوجه دون عناء أو تعب، إنما دلالتها عظيمة، فالابتسامة في وجه الآخر هي اعتراف بوجوده، وتعبير عن تبادل نفس المشاعر الطيبة والاحاسيس الجميلة التي تنم عن الاحترام، لهذا غالبا ما تكون تحية الصباح مصاحبة بالابتسامة، والابتسامة تختلف عن الضحك، لأن الضحك خصوصا بصوت عال غالبا ما يعبر عن الشر[38]، والابتسامة بدورها قد تكون صادقة من الأعماق، وقد تكون مزيفة وماكرة، فتكون حينذاك مصطنعة كما يقول المثل المغربي: "السن يضحك للسن والقلب فيه خديعة" ويقصد هنا بالضحك الابتسامة التي تخفي الخداع.

*** الأحاسيس الأساسية:**

نشير إليها باختصار، فحين تتواصل الأنا مع الآخر فهي تعمل على إيصال واستقبال أحاسيس مختلفة حسب مجال تواصلهم وقرابتهم وعلاقاتهم فيما بينهم، ومن هذه الأحاسيس نذكر: الفرح والسعادة والدهشة والخوف والغضب والحزن والتقزز والرضى والرغبة[39] ..

**المدخل التطبيقي:**

محاولة منا لتطبيق بعض الدراسات النظرية حول التواصل" على الرواية المغربية "شجيرة حناء وقمر" لأحمد التوفيق، لهذا الغرض، حددنا الشخصيات الرئيسية والثانوية في الرواية وأبرزنا صفاتها ومميزاتها، ودرسنا علاقتها مع بعضها البعض، لذلك وجدنا أسئلة تطرح نفسها علينا بإلحاح منها:

هل هناك تواصل بين الشخصيات أم أن هناك معيقات تحول دون ذلك؟ كيف يتم التواصل بين أفراد الشخصيات هل بالعنف أم بالتحاور أم بفرض سلطة الآخر؟ هل هو تواصل يرمي إلى تحقيق الألفة بين شخصيات الرواية أم أنه فيه نوع من السلطة والقهر؟

على العموم، إن كان هناك تواصل فما هي دوافعه وغاياته؟ وإن لم يكن فما هي أسباب انعدامه؟

لهذا سوف ننطلق من الفرضيات التالية:

- يرتبط التواصل بالحاجات الفردية؛

- ممارسة القوة والضغط يولد النفور وعدم الرغبة في التواصل؛

- إن النظرة للآخر تتغير بالتقرب منه، فتتحول العلاقة بينهما من نفور إلى تواصل، والعكس صحيح حسب التعامل.

ويمكننا أن نصيغ هذه الفرضيات بصيغة أخرى، ونختصرها في الفرضية التالية:

- يرتبط التواصل بالانسجام والتفاهم والثقة، ويغيب بغيابها.

## 1- التعريف بالمؤلف أحمد التوفيق:

أحمد التوفيق من مواليد 1943م بالأطلس الكبير قريبا من مدينة مراكش، اشتغل أستاذا بشعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط من 1970 إلى 1989، حيث عين مديرا لمعهد الدراسات الإفريقية بنفس الجامعة، وفي سنة 1995 عين مديرا للمكتبة الوطنية (الخزانة العامة، ويشتغل حاليا وزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، قدم رسالته الجامعية عام 1976 في موضوع التاريخ الاجتماعي للبادية المغربية في القرن التاسع عشر، واهتم بعد ذلك بدراسة قضايا تاريخ العصر الوسيط، كسيرورة اندماج بلاد من الأطراف في إطار النسق الإسلامي، وفي نفس السياق قام إلى جانب نشر أبحاث تنتمي إلى التاريخ الاجتماعي، بتحقيق نصوص شهيرة تتناول أدب المناقب والفتاوى صدرت في رواية سنة 1997 بعنوان "جارات أبي موسى" التي تم تمثيلها تلفزيونيا[40].

## 2- الشخصيات:

أول ما نلمسه في هذه الرواية هو تعدد شخصياتها فنجد مثلا (همو-علا- ابن الزارة - باروخ - ولد الشهباء - احماد نايت برايم - السلطان - الوزير - طالب- السالمة - كيما - أم السالمة - أم كيما - نجمة - الأمة...)

تعدد الشخصيات ينتج عنه تعدد العلاقات الاجتماعية، وتنوع أنماط التواصل فيما بينها، وسنركز هنا على دراسة الشخصية الرئيسية في هذه الرواية، والتي لم نطلق عليها اسم بطل لأنها لم تقم بدور بطولي في رأينا، مادام العمل البطولي يتميز بأنه عمل نبيل، فمن هي هذه الشخصية الرئيسية؟ وبماذا تميزت؟

## 2-1- الشخصية الرئيسية:

لقد ركز السارد على شخصية "هْمُّو"[41] وهو رجل تولى القيادة، وهي مهنة ورثها عن أبيه المتوفى (عْلاَّ)[42].

و"همو" رجل قبيح المظهر، لكنه قوي البنية، ومستواه الثقافي متدن، وكذلك اهتمامه الديني ضعيف، وهو إنسان طماع محب لذاته، ومحب للظهور لا يتوانى في إشباع رغباته وغرائزه، يكثر من الزواج والطلاق، مما جعل أباه "علا" يخاف عليه، إذ كان يزعجه ما كان يرى من أحوال ولده همو الذي صار كهلا، ولكنه يظهر ميولا كبيرة إلى التملك والتسلط وحب الظهور وإشباع النزوات حتى في الزواج والطلاق"[43]

وهو لا يقصد الكهولة بمعناها الحقيقي ولكنه بصيغة المبالغة فقط، فكيف كان تواصله مع الآخر القريب ثم البعيد والمخالف؟ سنجيب عن هذا السؤال بالتفصيل في الجزء الخاص بدراسة العلاقات.

## 2-2- الشخصيات الثانوية:

اشتملت الرواية على بعض الشخصيات الثانوية، وأهمها نذكر:

- **شخصية ابن الزارة:** رجل طويل القامة، آدم اللون قوي المنكبين في وجهه حفر سابق من الجدر[44]، كان اليد اليمنى للقائد علا في تدبير شؤون داره وترتيبات معاشه دون التدخل في شيء من شؤون حكم الإيالة[45]، فهو مشاوره.

وسبق له أن اشتغل في النخاسة، وحصل يوما أن جاءت في البضاعة المعروضة عليه جارية ذهبية البشرة من فلان السودان، دقيقة الملامح، غزالية الملحظين، فاشتراها وآثر بها نفسه"[46]، ولما أحس بأن الناس يحسدونه بسببها رحل يقصد إحدى مدن الشمال على طريق ممرات الجبال[47]، كي لا يطمع فيها أحد حتى إنها طلت وجهها بالحمم"[48] لتفادي الوقوع في المشاكل أثناء مسيرهما في الطريق، لكنهما اثناء تنقلهما مرا على رجلين أمرهما بالامتثال لأمرهما بالوقوف على صخرة كبيرة وبعد ذلك أطلقا عليهما الرصاص، فأصيبت الزوجة وتوفيت وهذا حز في نفسه كثيرا، وقرر الانتقام لها، لكنه عندما وصل إلى بلدة حصن" السوق"، اشتغل عند القائد "علا"، وكان اليد اليمنى له في تدبير شؤون داره وترتيبات معاشه..."[49]، إلى أن نسي أمر الانتقام خصوصا وأن علا لم يكن يهتم بالهجوم على الشيوخ، إذ كان قانعا زاهدا في الدنيا، طالبا، أي حافظا للقرآن الكريم.

ستصبح شخصية ابن الزارة بعد وفاة القائد "علا" شخصية أساسية، فهي وإن كانت تظهر شخصية مساعدة للشخصية الرئيسية، إلا أنها قامت في الحقيقة بدور المسير والموجه للقائد، لقد صار "أحوج إلى خدمة ابن الزارة وأكثر اقتناعا بحصافة رأيه، وبعد نظره سيما إذا تذكر أن ابن الزارة عارض في زواجه من امرأتيه الحاليتين، لأنه كان يريد لهمو زوجة من بيوت القواد مادام مرشحا لأن يخلف أباه في يوم من الأيام"[50].

**الشيخ ولد الشهباء:** هو شيخ منطقة أهل السهل"، أبو السالمة التي تزوجها القائد مقابل إرجاعه الأرض لأبيها، وهو شخصية طيبة متحابة مع زوجه وأبنائه، ولا أدل على ذلك إحساسه بالحزن والذنب، بعد زواج ابنته السالمة وما ظهر عليها من معاناة وحزن وألم، ولذلك كان يبكي كل ليلة في غرفة نومه أمام زوجته بسبب تزويج ابنته.

**احماد ناديت برايم:** هو شيخ منطقة أهل الجبل، وأبو "كيما" التي تزوجها القائد همو كحل للصلح فيما بينهم ولتسريح ابنه من سجنه،

**السلطان:** كان القائد "همو" يهابه ويحسب له ألف حساب لهذا أظهر إذعانه واشتغاله الجيد، من جمع الضرائب، ومحاصرة الشيوخ، كما يقول السارد يظهر أن تأدب القائد هناك ولين جانبه ومسكنته صفات جلبت إليه عطف عدد ممن راقوا لحاله ومهنته وهو في المشاورة"[51].

**الوزير:** كان يعطف على "همو" لغاية في نفسه أظهرها فيما بعد، وهي أن يتزوج ابنته، وكان هذا الوزير متزوجا من شركسية[52]، ويعيش معها في السعادة والرفاهية كما قال الطالب لهمو، وهذا ما جعل همو يعمل المستحيل ليجلب لنفسه هو أيضا امرأة شركسية وهذه الفكرة كانت تراوده من قبل.

## 2-3- شخصية المرأة في الرواية:

لقد تعددت أدوار المرأة في هذه الرواية، فنجدها زوجة وأما وخادمة وطباخة وجارية وأمة وسلعة تباع في أسواق النخاسة.

ولا نجد في الرواية أي إشارة إلى المرأة المثقفة العالمة، ولعل ذلك راجع إلى أن المجتمع المغربي آنذاك كان يطغى عليه الجهل وسلطة المخزن، إذ نجد القائد نفسه يتهجى في القراءة ولا يفهم الكثير من المعاني والكلام، ورغم ذلك يمارس جبروتا على كل من يتعامل معه خصوصا النساء اللواتي تزوج بهن، ما جعل الزوجة الأخيرة تصاب بمرض نفسي والتي لم يهتم بحالها نفسيا وانما فسر الأمر خرافيا وبمعتقدات المس.

**-الزوجتان المهملتان:** ونعثر على المرأة الزوجة التي تُهمل وتُنسى وتُغير بزوجة أخرى بمجرد تغير وضعية الزوج في المجتمع إلى حالة أحسن وأفضل بفضل نجاحه في العمل، فكأنها لم تعد صالحة لدور الزوجة، حيث وجدنا أن الزوجتين اللتين في ملك همو" قبل قيادته تركهما وأهملهما بعد توليه القيادة، فلم يعد لهما ذكر حتى على مستوى السرد، وأصبح يبحث عن زوجة تكون – وهذا شرط – ابنة قائد.

– **الزوجة السالمة:** السالمة هي بنت القائد ولد الشهباء، بيضاء وجميلة، تم تزوجيها رغما عنها بالقائد همو، تلبية لرغبة أبيها ليستعيد الأرض بزواجها.

– **الزوجة كيما:** بنت القائد آيت حماد" "كيما"، هي أيضا بيضاء وجملية، وهي أيضا تزوجت بالقائد "همو" ليخرج أخوها من سجنه ويفك الحصار على بلدة أبيها الشيخ.

– **الزوجة ابنة الوزير:** اعتبرها "همو" فتاة قاصر لأنها مازالت تبحث عن الأطفال لتجري وتقفز معهم.

– **المرأة – الطباخة:** دادا العنبر وديعة الوزير عند همو، وهي امرأة كبيرة في السن، ناجحة في عملها، وتحسن الطبخ الرفيع، جاء بها همو من عند الوزير، وحدث أن أرسلت ذات يوم مساعدتها إلى ابن الزارة ليخبر همو بطلبها وهو أن يزوجوها بمن تريد بعد أن يرشحوا لها عرسان فتختار منهم من تريده زوجل لها، ودريعتها في ذلك كما قالت مساعدتها، أنها "كانت مخطوبة لأحد فرسان الحضرة أياما قبل أمر سيدي الوزير برحيلنا معكم، وقد فضلت أن تفسخ الخطبة وترضي سيدي الوزير في الرحيل مع سيدك القائد لتخدمه، فعليكم الآن أن تزوجوها"[53]، وهذا الطلب أضحكهم لكنه في نفس الأمر أخافهم لأنها من طرف الوزير، لهذا بحثا لها عن الزوج المناسب حفاظا على علاقتهما الجيدة مع الوزير.

– **المرأة – الأمة:** أمة كيما، عالمة باللغة العربية والأمازيغية، ذلك لأنها كانت بمثابة وسيط بين الضرتين السالمة وكيما لترجمة حديثهما ومساعدتهما على التحاور والتواصل في البداية.

أما الإماء الأخريات، فهناك، أمتين للسالما وأخرى لكيما جئن كمساعدات لسيداتهن، ينقلن لهن الأخبار: كل ما يقع في المنزل الكبير الذي يسكنون فيه جميعهم.

– **أم السالمة:** تمتاز بذوق رفيع، يدل على أناقة عالية، والدليل على ذلك طلبها من الصائغ اليهودي أن يصنع لها قلادة وصفتها وصفا رائعا ودقيقا، حتى أن الصائغ قال: "وحق المعبود ما رأيت مثلك في حسن الذوق ومعرفة الصنعة "[54]، حينها ازدادت السالمة إعجابا بأمها، و"ارتمت" في أحضانها تعانقها وتقبلها مجددة إعجابها بمعرفتها الموروثة عن دور أسياد صنعوا المجد الغابر"[55]

**– المرأة سلعة في سوق النخاسة:**

– **زوجة ابن الزارة:** اشتراها وتزوج بها لما رأى من ملامحها الدقيقة وبشرتها الذهبية لكن الناس حسدوه عليها فاضطر للرحيل بها.

– **الشركسية:** يرى "طالب" الوزير أن وزيره لما تزوج بالشركسية دخلت السعادة حياته، ولما سمع "همو" هذا القول قرر التزوج هو أيضا بشركسية وتطليق كل زوجاته، فضحى من أجلها وأنفق أموالا طائلة لذلك، دون أن يتمكن من الزواج منها.

## 2-4- الشخصية اليهودية:

– **باروخ**: يهودي كان صديقا للقائد علا أبو القائد "همو"، ويكبر هذا الأخير بعشر سنوات، وأصبح صديقا له بعد وفاة أبيه، ومساعدا له وقت الضيق إذ يقول "همو" له: "انت منجدي في المعضلات"[56].

– **شليمو**: زوج ابنة باروخ صائغ مجوهرات متميز حيث قال عنه صهره (باروخ) "أما جودة الصناعة فأنا أضمنها"[57].

– **نذري**: هو ابن عم باروخ، وإن كان اسمه اسم النصارى لا اسم اليهود، طويل الشعر عاري الرأس، لا يلبس الشاشية[58]، ويلبس ثيابا كثياب النصارى، كثير البشر والضحك، لم يقبل يد القائد، وإن كان قد انحنى عليها يتكلم إليه بجسارة وعينه في عينه بلهجة مختلطة بكلمات أخرى غير مفهومة[59]، يسكن بالدار البيضاء، عاش شبابه في الجزائر، وزار بلاد الأتراك وسكن في قرطاجنة، وباع واشترى في الخزيرات، وله زوجة في مالقة، وتجارة في جبل الطر[60]، طلبه باروخ استجابة لأمر القائد "همو" ليجلب له الجارية الشركسية"، وهو يفهم في هذه الأمور وكيف يختار من بين الجواري"[61].

## 3- دراسة العلاقة بين الأشخاص:

### 3-1- تواصل بين – شخصي: interpersonnelle:

لقد عرفنا التواصل بين شخصي بأنه ذاك الكلام الذي يقوله الشخص مع ذاته، وهو ما يسمى في الأعمال الأدبية ب المونولوج" (الحوار الداخلي) "le monologue والسارد هنا لا يترك الفرصة للشخصيات لكي تتكلم مع ذاتها وتمارس المونولوج، إلا الشخصية الرئيسية، هي الوحيدة التي فعلته ولمرتين فقط، وذلك أثناء قول "همو" لنفسه: "ما لهذا النخاس يفهم في كل مرة وأنا لا أفهم؟"[62]، وكذلك عندما قال في نفسه ردا على جواب السالمة الملغز: "عندها ما تقول، هذه العروبية، لكنها لن تبلغ أن تغلبني"[63].

### 3-2- تواصل الشخصيات:

#### أ- النظرة إلى الآخر:

إن السارد في هذه الرواية يعرف كل شيء، ونادرا ما يترك المجال للشخصيات لتخمن وتفكر وتبدي وجهة نظرها، أما بالنسبة لشخصيات الرواية فجمع بينها أشكال مختلفة من التواصل التي اختلفت باختلاف النظرة للآخر.

كان القائد همو معجبا بأفعال وأقوال ابن الزارة "فقد تقمص ابن الزارة، منذ وفاة صاحبه علا، دور الحاجب الوصي على خلفه، وهو لا يزداد إلا إعجابا بكل ما يمليه عليه أو يبادر به لخدمته"[64]، خصوصا وأنه نشأ على يده فهو كان في خدمة والده علا، والآن بعد أن أصبح قائدا بعد وفاة والده زاد اقتناعه بأفكار وتوجهات ابن الزارة،

"أما الآن والأمر قد صار إليه (يعني أصبح قائدا) فهو أحوج إلى خدمة ابن الزارة وأكثر اقتناعا بحصافة رأيه وبعد نظره"[65]، فهو كان يخفف من مخاوفه، ويخلق له أحلاما تروقه، ويغدي غروره ويفتح عينيه على طرق إحكام القبضة على أعدائه[66]

أشار السارد إلى نوع آخر من النظرة إلى الآخر، وهي النظر إلى الآخر ووضع تصور حوله قبل التعرف عليه، وتجلى هذا في تخيل السالمة لشكل كيما، وحكمها عليها قبل معرفتها من خلال قِلادتها، إذ بدأت تحللها كما جاء في النص على لسان السارد: "فإن صاحبة القلادة تكون ولا شك في مثل قامة السالمة طولا وما كانت تظن السالمة أن في بنات الجبال من تكون فارهة القامة دون إفراط مثلها، ولكنها تأملت في حجم العنبرة، ففهمت أن صاحبة السلسلة لابد أن تكون أقل ثخانة وسمنة منها .... ولما نظرت إلى الزمردة التي في رأس العنبرة الفضية تخيلت أنها لا تواتي إلا ألوانا من الثوب الفاخر في الملابس تفضلها ذوات البشرة البيضاء الصافية"[67].

فالسالمة هنا حللت شخصية صاحبة القلادة دون رؤيتها ولا معرفتها، لنجد فيما بعد أن هذه المواصفات تنطبق حقا عليها، الشيء الذي يدل على صدق فراسة السالمة.

### ب- علاقة الشخص بالآخر:

وعن علاقة همو بزوجاته، فقد ظهرت المرأة في الرواية ضعيفة ومغلوب على أمرها من طرف الرجل سواء كان أبا أو زوجا، سواء كانت ابنة رجال عاديين أو ابنة شيخ منطقة ما ولها شخصية وجمال وحضور، فهي في بيت الزوجية تعيش نوعا من المعاناة، خصوصا مع تعدد الزوجات وعدم اكتراث الزوج، واهتمامه فقط بتحقيق رغباته وفرض سلطته وجبروته على الآخرين، وعليه فشخصية همو في الغالب شخصية متسلطة وقاسية على من هم تحت إمرته، هذا ما جعل أباه علا يقلق بشأنه منذ صغره لأن شخصيته كانت مخالفة لشخصية ابنه.

كما تناول السارد علاقات الصراع من زاويتين، زاوية صراع القائد همو مع زوجته السالمة التي كانت ترفض التواصل معه بعد انجابها لمولودتها الأولى، التي أنجبتها في بيت أبيها الشيخ وتحت رعاية أمها، وغياب الزوج أغضبها وشعرت بالإهمال، لهذا قدَّر ابن الزارة رفضها لاصطحابها إلى بيت زوجها، "فهم ابن الزارة أن السالمة محقة في عتابها، فهُم لم يحضروا الميلاد ولا العقيقة لأنهم تشاغلوا بحكم أهل الجبال وبناء الرياض والاستعداد لزيارة السلطان"[68]، وزاوية صراعه مع شيوخ المناطق الأخرى، وكأنها حرب إذ أرسل مساعده ابن الزارة ومعه جيش قصد الهجوم على الاستيلاء على بعض المناطق المجاورة.

لكن شخصية "همو" كان لها تواصل من نوع آخر مع الشخصية اليهودية في الرواية، إذ ظهرت الشخصية اليهودية كشخصية موثوق فيها ومساعدة ومنجدة للشخصية الرئيسية "همو"، كما برز الحرفي صائغ المجوهرات بإتقانه وبراعته ودقته ودوقه الرفيع في صياغة الحلي والمجوهرات..، وعليه فالنظرة هنا للآخر اليهودي كانت نظرة تقدير واحترام، علاقة مبنية على الثقة وحسن التعامل، ويظهر ذلك من خلال التواصل المستمر معه بأدب واحترام وفي

الاعتماد عليه في بعض الأمور وأحيانا في أهمها، نفس الأمر الذي أبداه مع مساعده المغربي ابن الزارة الذي كان يده اليمنى في جميع تصرفاته واقراراته.

**وفي الختام**، فقد تعددت أشكال التواصل بين الأنا والآخر، كما تعددت نظرات السارد إلى الشخصيات فتارة كانت دونية، وتارة كانت نظرة سامية، تجلت النظرة الدونية في تلك المعاملة وذاك التواصل الذي كان بين المرأة/ الزوجة والزوج على وجه الخصوص، ما جعلها كامرأة تعاني في صمت قهر وقسوة زوجها، في حين تجلت النظرة السامية التي تعلي من شأن الآخر وتقدره في الشخصية اليهودية، لما اعتبرها صاحب النص شخصية متمكنة ولها قدرات تميزها عن غيرها.

**الهوامش:**

1 – إخراج: ابراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات – حامد عبد القادر – محمد علي النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية "**المعجم الوسيط**" الجزء الثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا تاريخ له ولا طبعة، ص 1048-1049، (بتصرف)

2 – ابن منظور، "**لسان العرب**"، دار صادر، بيروت، المجلد6، طبعة 1، 1997، ص 450، بتصرف

3 – المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان 1998، ص 972

4 – Sartre, l'être et le néant

5- Dictionnaire de philosophie 2éme edition 1993, p 1910

6 – زكريا إبراهيم، "دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مكتبة مصر، 1978، ص 469.

7 – م. س. ن. ص 470

8 – زكريا إبراهيم، "دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مكتبة مصر، 1978 ص 520، (بتصرف)

9 – م. س. ن. ص 383 (بتصرف)

10 – م. س. ن. ص 441

11 – رشيد بوطيب، "مفهوم التواصل في الفلسفة من الحقيقة إلى الاختلاف"، مجلة فكر ونقد، عدد 88، أبريل 2007، ص 61-62

12 – David alcaud et Laurent bouvet avec la collaboration de Jean Gabriel contain Xavier – Stéphanie morel et Muriel rouyer, crettiey, p.35

13 – رشيد بوطيب"، م. س، ص 62

14 – م. س، ن، ص 68-69

15 – رشيد بوطيب"، م، س، ص69

16 – عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، "مقدمة بن خلدون"، دار صادر، بيروت، نواف الجراح، دار صادر، الطبعة الأولى، 200، ص39

17 – م. س. ن.

18 – عبد العزيز القوضي، "علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية "، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، 1970، ص 191، بتصرف

19 – م. س. ن، ص 194 (بتصرف)

20 – محمد الركيك، "نظرية التواصل وتقنيات التعبير الكتابي والشفوي"، فاس، 2006، ص 38

21 – م. س. ن، ص 38

22 – م. س. ن، ص 39

23 – م. س. ن، ص 40

24 – محمد الركيك، م. س. ن، ص 44

25 – م. س. ن، ص 45

26 – محمد الركيك، م. س. ن.

27 - Jacques Levart, « regard sur l'autre, conscience de soi et représentation le moi en écriture, soi de d'alogu », Cahiers de Linguistique et de Littérature, N 1, mars 2001.

28 - جاك دريدا، "أحادية لغة الآخر"، ترجمة: عثمان الجبالي المثلوثي، منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، كتاب فضاءات، العدد الخامس، الطبعة الأولى 2004، ص 10

29 جاك دريدا، "أحادية لغة الآخر"، م. س. ن

30 - مرجع سابق، «Cahier de Linguistique et de Literature» ، ص 9

31 - محمد أنقار، "بناء الصورة في الرواية الاستعمارية صورة المغرب في الرواية الإسبانية "، ص 93 بتصرف.

32 - م. س. ن ص 93

33 - م. س. ن ص 93

34 - مجلة Cahiers de linguistique de littérature سبق ذكرها، ص 9

35 - جان كلود مارتان الوجه: "الكذاب المفضل"، ترجمة حسن الطالب، مجلة علامات، عدد 21، 2004، ص 26 - 35

36 - جان كلود مارتان الوجه: "الكذاب المفضل"، م. س. ن

37 - حديث الشريف، أخرجه الألباني عن صحيح الترمذي

38 - جان كلود مارتان الوجه: "الكذاب المفضل"، م. س، ص 31

39 - جان كلود مارتان الوجه: "الكذاب المفضل"، م. س. ن، بتصرف

40 - نقلا عن رواية "شجيرة حنا وقمر"، أحمد التوفيق

41 - هُمُّو بسكون الهاء وضم ميم مشددة، اختصار اسم محمد عند بعض قبائل الجنوب، انظر الرواية، ص.5.

42 - عْلاَّ بسكون العين، وفتح اللام المشددة المفخمة اخصار اسم عبد الله عند بعض قبائل الجبال، انظر الرواية ص 5

43 - الرواية، ص 7

44 - الرواية المصدر، ص 16

45 - ن. م. س، ص 11

46 - ن. م. س

47 - ن. م. س

48 - ن. م. س

49 - ن. م. س

50 - الرواية المصدر، ص 19

51 - م. س. ص 166

52 - شركسية أي فتاة تنتمي في الأصل إلى شعب "الأديغا"، موطنه الأصلي مرتفعات القوقاز بين البحر الأسود وبحر القزوين، أطلق عليه اليونان لفظ شركس، وانتشر هذا اللفظ عالميا، يدينون بدين الإسلام، ويتواجدون في عدة دول عربية، كسوريا والأردن ولبنان ومصر وليبيا وفلسطين. (google)

53 - الرواية المصدر، ص 94.

54 - الرواية المصدر، ص 42

55 - الرواية، ص 142

56 - الرواية المصدر، ص 168

57 - م. س، ن، ص 35

58 - م. س، ن، ص 187

59 - م. س. ن

60 - الرواية المصدر، ص 186

61 – م. س. ن

62 – م. س. ن، ص 202

63 – م. س. ن. ص 77

64 – م. س. ن. ص 16.

65 – الرواية المصدر، ص 19.

66 – م. س، ن. ص 31، بتصرف.

67 – م. س. ن. ص 126

68 – م. س. ن. ص 124.